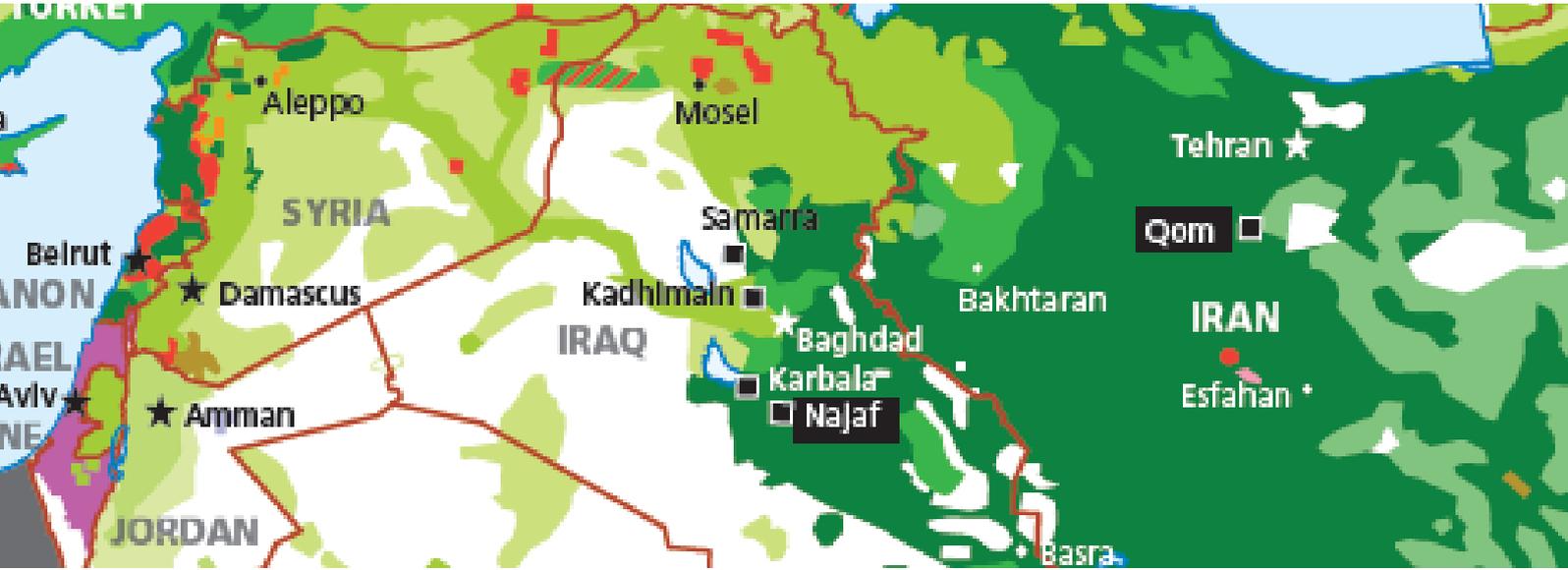




مركز حرمون
للدراستات المعاصرة
Harmoon Center
For Contemporary Studies

مستقبل العلاقات الطائفية في الشرق الأوسط



وحدة الترجمة والتعريب

ترجمة: أحمد عيشة

29 أيار / مايو 2017

مركز حرمون للدراسات المعاصرة

مركز حرمون للدراسات المعاصرة هو مؤسّسة بحثية وثقافية وإعلامية مستقلة، لا تستهدف الربح، تُعنى بشكل رئيس بإنتاج الدراسات والبحوث المتعلقة بالمنطقة العربية، خصوصًا الواقع السوري، وتهتم بالتنمية الثقافية والتطوير الإعلامي وتعزيز أداء المجتمع المدني، ونشر الوعي الديمقراطي وتعميم قيم الحوار واحترام حقوق الإنسان، إلى جانب تقديم الاستشارات والتدريب في الميادين السياسية والإعلامية للجهات التي تحتاج إليها في المجتمع السوري انطلاقًا من الهوية الوطنية السورية.

يعمل مركز حرمون للدراسات المعاصرة لتحقيق أهدافه من خلال مجموعة من الوحدات التخصصية (وحدة دراسة السياسات، وحدة البحوث الاجتماعية، وحدة مراجعات الكتب، وحدة الترجمة والتعريب، وحدة المقاربات القانونية) وعددٍ من برامج العمل (برنامج الاستشارات والمبادرات السياسية، برنامج الخدمات والحملات الإعلامية وصناعة الرأي العام، برنامج دعم الحوار والتنمية الثقافية والمدنية، برنامج مستقبل سورية)، ويمكن للمركز أن يضيف برامج جديدة بحسب حاجة المنطقة والواقع السوري، ويعتمد المركز آليات متعدّدة في إنجاز برامج، كالمحاضرات وورشات العمل والندوات والمؤتمرات والدورات التدريبية والنشر الورقي والإلكتروني.

الدوحة، قطر

+974 44 885 996

غازي عنتاب، تركيا

+90 342 326 5112

harmoon.org

The Future of Sectarian Relations in the Middle East	عنوان المادة الأصلي باللغة الإنكليزية:
Jeffrey Martini, Heather J. Williams, William Glendon Young	اسم الكاتب
جيفري مارتيني، هيثر ويليامز، ويليام يونغ	
مؤسسة راند	مصدر المادة الأصلي
RAND corporation	
https://www.rand.org/pubs/perspectives/PE242.html	رابط المادة
22 أيار/ مايو 2017	تاريخ النشر
وحدة الترجمة والتعريب في مركز حرمون للدراسات المعاصرة/ أحمد عيشة	المترجم

المحتويات

3	تعريف بالمؤلفين.....
3	حول هذا المنظور/ الرؤية
4	مقدمة
4	المنهج
5	الافتراضات حول التغيير المستقبلي للطائفية في الشرق الأوسط
10	الدوافع/ المحفزات
11	(الدوافع/ المحفزات) المتعلقة بالجمهور والفاعلين غير الحكوميين.....
11	الدافع الأول الهوية الذاتية.....
12	الدافع الثاني صفة الخطاب الديني في المجتمع.....
12	الدافع الثالث الجهات الفاعلة غير الحكومية
13	الدوافع المتعلقة بسلوك الدول والبيئة الإقليمية
13	الدافع الأول توجه السياسة الخارجية للقوى الإقليمية
13	الدافع الثاني نوعية الحكم.....
13	الدافع الثالث العلاقة بين الرفاهية الاقتصادية والاندماج الطائفي.....
13	الدافع الرابع اتجاهات الصراع
14	استراتيجيات الجهات الخارجية الفاعلة.....
15	سيناريوهات
15	السيناريو الأول: صعود النزعة المحلية.....
17	السيناريو الثاني: معسكر شيعي موحد في وسط الفوضى السنية
18	السيناريو الثالث: مجازفة سياسية تجلب الانفراج
19	السيناريو الرابع: النزاع العرقي وإزاحة دافع الانعزال الذاتي.....
21	الخلاصة
21	الاستنتاجات الرئيسة لهذه الدراسة:.....
23	المراجع

تعريف بالمؤلفين

جيفري مارتيني: باحث في قضايا الشرق الأوسط في مؤسسة راند، عمل طوال عام 2014 في مكتب وزارة الخارجية للصراع وعمليات الاستقرار.

هينر وليامز: باحثة دولية في مجال السياسات الدفاعية في مؤسسة راند. تركز على قضايا الأمن القومي، والشرق الأوسط، والقضايا الإقليمية، وسياسة الاستخبارات ومنهجيتها.

ويليام يونغ: محلل سياسات مساعد في مؤسسة راند. أدار عمليات جمع المعلومات الاستخباراتية لمصلحة وكالة كلادستين القومية للمعلومات السرية لأكثر من 30 عامًا ورتبها، قبل تقاعده في كانون الأول/ديسمبر 2011.

حول هذا المنظور/ الرؤية

يقدم هذا المنظور أربعة سيناريوهات محتملة للعلاقات الطائفية في الشرق الأوسط حتى عام 2026. هذا العمل الذي يعدّ موجزًا وأوليًا، يهدف إلى إفادة دارسي التوجه أو الميل في الشرق الأوسط، أو أولئك المهتمين بموضوع الطائفية تحديدًا.

إن صناع القرار في الولايات المتحدة، وجماعات الاستخبارات الأميركية هم جمهور محتمل لهذا التحليل. نود نحن المؤلفين شكر قيادة مركز السياسة الاستخباراتية الذي مكّن إجراء هذا البحث. ونقدر الوقت والأفكار المشتركة، لمجموعة الخبراء المهتمين بالموضوع الذين قدموا مساهمات لا تُقدر بثمن لافتراضاتنا، ودوافعنا، وسيناريوهاتنا.

ونود شكر زملائنا، شيلي كلبرتسون، وباربرا سود، اللتين راجعتا هذه الدراسة، وقدمتا توصيات مفيدة تتعلق ببنيتهما ومضمونها.

لقد أُجري هذا البحث في مركز السياسة الاستخباراتية، لمعهد بحوث الدفاع الوطني راند، وهو بحث ممول اتحاديًا، وموضع تنمية أو ترقية برعاية مكتب وزير الدفاع، والموظفين المشتركين، وقيادات الوحدات المقاتلة، والبحرية، والغواصات، ووكالات الدفاع، ومجمع الاستخبارات الدفاعية.

مؤسسة راند هي منظمة بحثية تعمل على ترقية الحلول التي تواجه السياسات العامة للمساعدة في جعل المجتمعات أكثر أمنًا وسلامًا، وأكثر صحة وازدهارًا في أنحاء العالم جميعها. راند مؤسسة غير ربحية، وغير حزبية، وملتزمة بالمصلحة العامة.

مقدمة

تُؤسس الطائفية للتغيرات الإقليمية_وخصوصًا الاختلاف السني الشيعي⁽¹⁾_ وهي سمة بارزة في المشهد شرق الأوسطي. منذ اشتعال الحروب الأهلية في العراق، وسورية، واليمن، مرورًا بالتنافس الإقليمي بين إيران والمملكة العربية السعودية، ووصولًا إلى استراتيجيات الحكم في الدول المختلطة دينيًا.

الطائفية التي يصعب قياسها أو مقارنتها، أو فصلها عن العوامل الأخرى التي قد تكون متفاعلة معها، هي أيضًا مجال الاهتمام لمجمّع الاستخبارات الأميركية، وهو مكلف بإعطاء الحكم، أو الرأي بظهورها، وأهميتها، والتنبؤ بتطورها الزمني.

صُمم هذا المنظور أو الرؤيا لمساعدة مجمّع الاستخبارات، من خلال تقديم سيناريوهات لتطور الطائفية في الشرق الأوسط خلال العقد المقبل.

لقد توصلنا إلى سيناريوهات من خلال تحليلٍ منظمٍ بما في ذلك مناقشة ميسرة مع خبراء مهتمين بالموضوع_ مبني على الافتراضات و(الدوافع / المحفزات)، التي نعدّها مهمةً لكيفية تطور الطائفية. هذه الافتراضات، والمحفزات، هي التي أدت إلى توليد السيناريو الذي توصلنا إليه الذي يقوم على أساس المعايير، بحيث يكون كل سيناريو معقولًا، و متميزًا من الناحية التحليلية، ويمكن أن يكون متباينًا عن السيناريوهات البديلة. ولسهولة الاستخدام، و"إظهار عملنا"، فإنّ مخطط هذه الدراسة يتبع خطوات في منهجنا، بدءًا من مراجعة الافتراضات الداعمة لدراستنا، مرورًا ب(الدوافع / المحفزات)، والانتقال إلى توليد السيناريوهات. ووصولًا إلى تحديد الموضوعات ذات الصلة المفيدة للبحوث المستقبلية أو تعريفها.

المنهج

السيناريوهات المقدمة في هذا المنظور/ الرؤيا ناتج مساهمات عدة. نحن، بوصفنا المؤلفين، وفريق الدراسة، بدأنا بعصفٍ ذهني منظم بين بعضنا، وكرّسنا جلساتٍ منفصلة للافتراضات الداعمة للسيناريوهات، ولدوافع أو محفزات الطائفية. وكيف يمكن التعبير عن الافتراضات و(الدوافع / المحفزات) في احتمالات المستقبل البديلة. وبعد القيام بهذه العملية الداخلية، صغنا تلك المقاطع من الوثيقة لتوضيح تفكيرنا الأولي.

(1) الطائفية مفهوم أوسع كثيرًا من مظاهرها (السنية – الشيعية).

قد تُظهر هويات دينية أخرى طائفية أيضًا (مسيحية – يهودية، على سبيل المثال)، ويستخدم بعض الأكاديميين هذا المصطلح ليطبقوه على تسييس أي هوية جماعية نسبية -أي إن الطائفية يمكن أن تنطبق على الهويات غير الدينية، العرقية مثالًا-.

يركز هذا المنظور/ الرؤيا على تسييس الهويات (السنية والشيعية).

بعد القيام بهذه العملية داخليًا، عقدنا ورشة عملٍ، ضمّت ثمانية خبراءٍ مهتمين بالموضوع من الخارج، وطلبنا فيها (الورشة) ردات الفعل على افتراضاتنا، ودوافعنا/ محفزاتنا، ثم دار نقاشٌ حول احتمالات المستقبل البديلة، من دون تقديم سيناريوهاتنا الأولية.

ولدت ورشة العمل افتراضاتٍ، ودوافع إضافية، قمنا بدمجها في المسودات اللاحقة التي أدت بنا إلى صوغ سيناريوهين جديدين، لم نكن تصورناهما قبل عقد ورشة العمل.

وفي الانتقال من الافتراضات والدوافع، إلى وضع السيناريوهات، اخترنا عدم استخدام منهج "المعالجة القطاعية، quadrant crunching"، بحيث يُرتب اثنين من (الدوافع/ المحفزات) المستقلة الأكثر أهمية بجانب بعضهما جنبًا إلى جنب، بطريقة اثنين تلو اثنين.

على الرغم من أننا على درايةٍ بالمقاربة وقد استخدمناها في التحليل السابق، يحدّد منهج المعالجة القطاعية، السيناريو لمحفزين اثنين فقط.

نفترض أن مستقبل الطائفية سيكون حساسًا للغاية، لدوافع متعددة، ولوجود من يقدم فارقًا إضافيًا في آثار الدوافع على العلاقات الطائفية. بدلًا من اختيار أو ترجيح المعالجة القطاعية، ونشير إلى الدوافع المهمة في بداية كلّ سيناريو، ونوصف كيف تتفاعل تلك الدوافع.

الافتراضات حول التغير المستقبلي للطائفية في الشرق الأوسط

لغرض ربط سيناريوهاتنا ضمن الحدود الواقعية، نبدأ بوضع الافتراضات التي تنطبق على السيناريوهات المستقبلية الأساسية التي بحثنا فيها كلها. جمعت هذه الافتراضات ضمن فئات: السكان، الديموغرافيا، والهوية، والسياق السياسي والاقتصادي للشرق الأوسط، وهي ملخصة في الجدول رقم (1).

افتراضنا في ما يتعلق بالسكان/ الديموغرافيا هو أنّ التفكك العالمي للمسلمين، سيظل يعكس هيمنة السنّة الذين يفوق عددهم الشيعة بنسبة 1.5.

الجدول (1) افتراضات أساسية

الديموغرافيات	الهوية	السياق الاقتصادي والسياسي
عالمياً، يفوق السنة الشيعية بنسبة 1.5	سيحافظ الشرق أوسطيون على توازن هويات متعددة إذ تتغير أهميتها عبر الزمن، ووفقاً للأوضاع	سيكون الشرق الأوسط موبوءاً بالصراع إذ يسعى أصحاب المشروعات الطائفية لاستغلاله
التوازن السني الشيعي على طول خط الصدع الطائفي، الذي يشمل شبه الجزيرة العربية، وإيران، والشام، سيكون أقرب إلى 1.1	سيحاول أصحاب المشروعات الطائفية حشد المجتمعات حول الطائفة، متنافسين مع آخرين يسعون للتجمع حول هويات ومصالح مختلفة	سيستوطن خط الصدع الشيعي السني الدول الضعيفة التي تفتقر إلى شرعية واسعة، وإلى القدرة على السيطرة على أراضيها
لن يشهد أي بلد تحولاً في طائفة الأغلبية	ستكون نوعية الحكم عاملاً رئيساً في قوة القومية بوصفها هوية	ستظل السعودية وإيران كلتاهما الدولتين الرئيسيتين الراعيتين لطوائفهما
تدفقات اللاجئين والتشريد/ النزوح الداخلي سوف تؤثر في التوازن الطائفي بقدر تزايد معدلات المواليد بين السنة والشيعية		

ومع ذلك، فالانقسام بين السنة والشيعية على طول خط الصدع الطائفي الذي يشمل شبه الجزيرة العربية، وإيران، والشام أقرب إلى 1.1⁽²⁾.

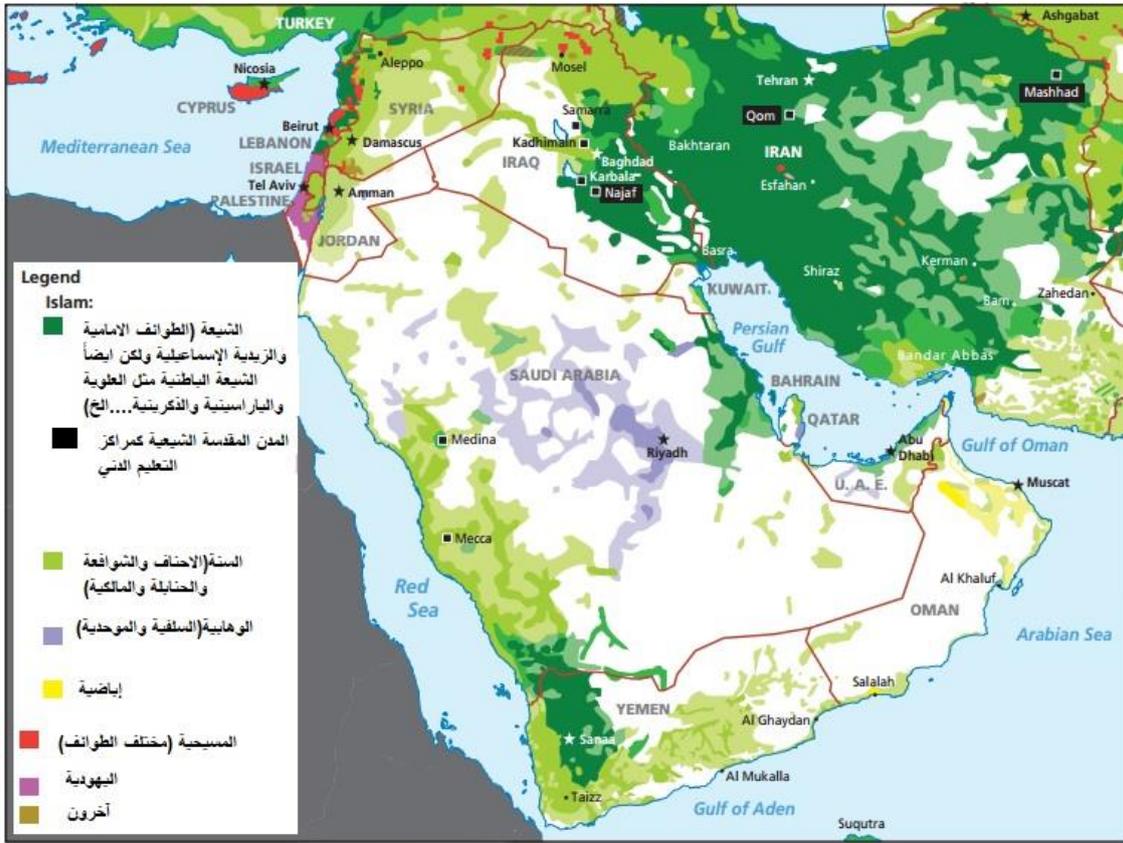
(2) باستخدام بيانات من قاعدة بيانات الدين العالمي World Religion Database، حسبنا نسبة السنة إلى الشيعية في الدول التي تقع على خط الصدع الطائفي، وتشمل شبه الجزيرة العربية، وإيران، والشام. بدمج سكان تلك البلدان (أي البحرين، وإيران، والعراق، والأردن، والكويت، ولبنان، وعمان، وقطر، والسعودية، وسورية، والإمارات العربية المتحدة، واليمن)، يمثل الشيعية 54 في المئة من السكان؛ بينما يمثل السنة 46 في المئة.

لا نتوقع أن يتغير التوازن الطائفي التقريبي بين السنة والشيعة على طول الخط الصدع الطائفي، أو أن التوازن الطائفي في بلدانٍ معينة على خط الصدع هذا، سوف "يتبدل" في الإطار الزمني للسنوات العشر المقبلة من سيناريوهاتنا.

وبين الشكل (الخريطة) خط الصدع الطائفي الذي يخترق قلب الشرق الأوسط.

افتراضنا الأساس المتعلق بالهوية في الشرق الأوسط هو أن سمة الهويات المختلفة ستستمر في الاختلاف مع الوقت، ووفقاً للأوضاع.

خط الصدع السني الشيعي



المصدر: معلومات مستمدة من أيزادي Izadi (2013)

مع مراعاة الصعوبة في الحصول على معلومات موثوقة لتعداد سكان هذه البلدان. حسبنا أيضاً هذه النسبة، وذلك باستخدام متوسط الأرقام المتاحة من عالم كتاب وكالة الاستخبارات المركزية: (حقائق العالم، غير مؤرخ)، ودائرة أبحاث الكونغرس (أرمانيو، 2004)، ومنتدى بيو (2009، 2011)، وتفضي كلها إلى النتيجة نفسها.

هناك بعض التباين في معدلات المواليد بين الطوائف. في البلدان جميعها باستثناء لبنان، إلا أنّ الطائفة الأغلبية لها ميزةٌ عددية لا يُمكن إلغاؤها ضمن الأوضاع المنظورة.

في لبنان، يُظن أن الشيعة يكوّنون زيادةً عددية صغيرة أكثر من السنة، والمسيحيين المارونيين، على الرغم من أنه لم يُجرَ تعدادٌ رسمي في ذلك البلد منذ عام 1932. وفي ظلّ الأوضاع العادية، نتوقع أنّ الشيعة سيمثّلون أكثريةً عددية مفترضة في مدى العقد المقبل، لأن هذا المجتمع تاريخياً كان يتمتع بأعلى معدلات الولادات بين مختلف طوائف لبنان⁽³⁾. ومع ذلك، فإن استضافة لبنان لعددٍ كبير من اللاجئين السوريين طغى على أيّ تأثيرٍ لزيادة معدلات الولادة؛ ففي غضون بضعة سنواتٍ، أصبح هؤلاء المهاجرون يمثّلون تقريباً الربع من مجموع سكان البلاد⁽⁴⁾.

لا يوجد تحليلٌ مفصل وموثوقٌ لهويات اللاجئين الطائفية، ولكن يُعتقد أن الأغلبية هم من السنة التي سوف تشوش التوازن الديموغرافي الشامل في سورية، والتمثيل غير المتناسب لهذا المجتمع في المعارضة. ومن الممكن أن يؤدي هذا التدفق إلى أكثريةٍ عددية للسنة في لبنان، على الرغم من أنّ تحليلنا لا يمكن أن يُحدد المجري الطائفي الدقيق للبلد.

يستمد تحليلنا جذوره من الواقع التجريبي، إذ إنّ السنة هم الفئة الأغلبية في العالم الإسلامي، ولكنها تتمتع بتكافؤٍ تقريبي على طول خط الصدع الذي يخترق قلب الشرق الأوسط. ومع ذلك، فإننا نعتزف بأنّه في مسائل الهوية - غالباً ما تكون المعرفة أكثر أهمية من الواقع. وهذا يعني أنه في حين إنّ العرب السنة هم أقلية في العراق، وكثير منهم ينتمي إلى تلك الهوية التي تعتقد المجموعة حقاً أنها تمثل الأغلبية.

في حين إنّ الشيعة متساوون تقريباً مع عدد السنة على طول خط الصدع الطائفي، غالباً ما تُحشد هذه الطائفة بسردية خفية يكونون فيها هم المظلومون.

وفي ما يتعلق بالعوامل الديموغرافية، تجدر الإشارة إلى أن التشريد والنزوح الداخلي - لا سيما في سورية والعراق، واليمن - له آثارٌ عكسية على الطائفية.

من ناحية، إنّ فصل المجتمعات في بعض المناطق قد يؤدي إلى تناقصٍ في التوترات الطائفية، لأن المجتمعات المحلية تصبح أكثر انفصلاً من الناحية الفيزيائية.

ومن ناحيةٍ أخرى، التفاعل الأقل بين الطوائف قد يحدّ من التحيزات تجاه "المجموعات الخارجية". والمرحلة الانتقالية، التي تنتقل فيها الأسر يمكن أن تتركهم معرضين للخطر وخصوصاً أعمال العنف الطائفي.

⁽³⁾ (شامية، 1981؛ مركز الإعلام اللبناني، 2013).

⁽⁴⁾ (مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية، 2016).

افتراضنا الأساس المتعلق بالهوية في الشرق الأوسط، هو أنّ بروز الهويات المختلفة سيستمر في التباين مع مرور الوقت، ووفقًا للأوضاع. لا يمكن القول_ مع أيّ تأكيدٍ_ إنّ الشرق الأوسط في عام 2026 سيكون أكثر طائفيةً أو أقل_ أو بدلًا من ذلك_ أكثر قوميةً أو أقل. لذلك، تشمل سيناريوهاتنا كلاً من هذه المسارات وغيرها. ما يمكن أن يكون مفترضًا ببعض التأكيد، هو أنّ الشرق أوسطيين سوف يستمرون بتعريفه بعبارات متعددة، بما في ذلك المتعلقة بالدين، والعرق، والدولة القومية، والطبقة الاجتماعية والاقتصادية، والجنس gender.

ومن المؤكد أن "أصحاب المشروعات الطائفية"، أي هؤلاء الذين يحشدون المجتمعات المحلية حول الطائفة، سيواصلون جهدهم، ولكنهم سيتنافسون مع الآخرين الذين سيحاولون الحشد حول قوى تضامنية مختلفة.

إنّ حلبة سياسات الهوية في الشرق الأوسط لن تكون حكرًا على أبي مصعب الزرقاوي فحسب في المنطقة، بل سيتنافس أصحاب المشروعات الطائفية مع أمثال الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي، الذي يحشد جمهوره حول رؤية قومية⁽⁵⁾.

ما يزال بعض آخر يحاول إقامة تحالفات تتجاوز الطائفية، والقومية، وكلاهما أصحاب "مذاهب" isms "حصرية، ودوافع محتملة للصراع بطرائق مختلفة.

نحن نفترض أيضًا أنّ القوة النسبية للطائفية ستكون تابعًا للأوضاع الكامنة، وخيارات القادة والجمهور، لا محددًا سلفًا من الثقافة. فمثلًا، الحكم الرشيد، والتاريخ/ الحكايات القومية الطويلة سوف تؤهب السكان (تجعلهم ميالين)، لإعطاء الأولوية للهويات القومية، في حين إنّ سوء الإدارة، والحدود الصناعية تجعل السكان أكثر عرضةً للهويات المتصارعة، بما في ذلك الطائفية، والقبلية. (هذه العوامل هي التي نوقشت في قسم (الدوافع/المحفزات).

ما يعنيه هذا لفرضياتنا، هو أنّ الشرق الأوسط غيرُ محكومٍ بأن يعاني الطائفية؛ وبدلًا من ذلك، فإن مستوى الطائفية في المنطقة سيكون تابعًا للعوامل، التي قد يكون بعضها بنيويًا في طبيعته، وبعضها الآخر ستحدده خيارات الجهات الفاعلة في أرض الواقع.

من حيث السياقات السياسية والاقتصادية في المنطقة، نحن نفترض أنّ عددًا من الميزات ستدوم، وسيستمر الشرق الأوسط مملوءًا بالمظالم، والصراع العنيف الذي سيحاول الفاعلون الطائفيون أن يستغلوه.

هناك إمكان لتحسين الأحوال، ولكن نظرًا إلى نطاق الصراع في الشرق الأوسط اليوم، والمدة النموذجية للحروب الأهلية، والأوضاع التي تبدو مواتيةً لتوليد صراعاتٍ جديدة، فإننا نفترض أنّ الشرق الأوسط

⁽⁵⁾ في هذه الحال، وفي هذا المنظور/ الرؤيا، نستخدم القومية لنصفَ الولاء لبلد معين، لا القومية العرقية، ethnic

سيظل يملك معدلًا مرتفعًا من النزاع في السنوات العشر المقبلة، وإن كان المستوى الأعلى له أقل مما هو عليه في عام 2016.

نحن نفترض أيضًا أنّ الدول التي تجاوز خط الصدع الشيعي السني ستكون دولًا ضعيفةً، وتفتقر إلى الشرعية عند جزء كبير من سكانها، تمامًا كما تفتقر إلى القدرة على السيطرة على أراضيها كاملة. إنه لأمر ممكن أن تصبح الدول الإقليمية أكثر شرعيةً، وأكثر قدرةً ضمن إطارنا الزمني، ولكننا لا نرى مسارًا معقولًا لتحول نظام الحكم الإقليمي، أو القدرة الإقليمية.

وأخيرًا، فإن سيناريوهاتنا جميعها تفترض أنّ المملكة العربية السعودية، وإيران ستبقيان الدولتين الراعيتين الرئيسيتين لطوائفهما.

إن سلوك هذه القوى الإقليمية_ التي نتعامل معها في قسم (الدوافع/ المحفزات) هو عرضةٌ للتغيير؛ في رأينا، وهذا سيكون محددًا كبيرًا لطبيعة الطائفية في العقد المقبل.

الدوافع/ المحفزات

حتى درسنا التوجهات المحتملة في الصراع الطائفي في المنطقة التي يمكن أن تتغير، حددنا ثمانية دوافع للصراع السني الشيعي في الشرق الأوسط. ووفقًا لتقنيات التحليل المنظم التي حسنتها مدرسة شيرمان كينت Sherman Kent، فالدوافع هي طريقة للتمعن والتقويم، وتحديد الأولويات من بين العوامل المتعددة التي تحدد النتائج المعقولة⁽⁶⁾.

دوافعنا هي العوامل التي نعلن أنه سيكون له التأثير الأكبر في المسار المستقبلي للعلاقات الطائفية في المنطقة. وتشمل الأحوال الاجتماعية، وسلوك مجموعة متنوعة من الجهات الفاعلة.

ويمكن تصنيف الدوافع الثمانية إلى ثلاث فئات: تلك المرتبطة بالجهات الفاعلة العامة وغير الحكومية، وأخرى متعلقة بالدول الإقليمية، والأوضاع الإقليمية، واستراتيجيات الجهات الخارجية الفاعلة.

يمكن لكل دافعٍ زيادة خطر الصراع الطائفي أو تقليله اعتمادًا على الشكل الذي يأخذه؛ والعلاقة بين الدافع والنزاع الطائفي مبينة في الجدول (2).

⁽⁶⁾ (حكومة الولايات المتحدة، 2009).

(الدوافع/ المحفزات) المتعلقة بالجمهور والفاعلين غير الحكوميين.

حددنا ثلاثة (دوافع/ محفزات) رئيسية تتعلق بالجمهور، والفاعلين غير الحكوميين.

الدافع الأول الهوية الذاتية

يحيط بهوية الجمهور الذاتية، ولا سيما قوة الهوية الطائفية وعلاقتها مع الهويات البديلة. نجد في أحد أطراف السلسلة، الهويات القومية، وهي الطريقة الرئيسية التي يحدد الأفراد بها ذواتهم في مجتمعٍ معطى. في مثل هذه الحالة، فإنَّ الشيعة العراقيين سيشعرون بارتباطٍ أقوى مع العراقيين الآخرين_ بغض النظر عن الطائفة أو القبيلة أو الطبقة_ من الشيعة الإيرانيين أو اللبنانيين. وفي الطرف الآخر من السلسلة، فإنَّ الهويات الطائفية هي الصورة المهيمنة للهوية الذاتية. وباستخدام المثال نفسه، فإنَّ الشيعة العراقيين سيشعرون بقدرٍ أكبر من التضامن مع معتنقي ديانتهم من بلدانٍ أخرى، أكثر مما يشعرون بالتضامن مع العراقيين السنة. ومن الممكن أيضًا أن يحدد العراقيون مصطلحاتٍ أخرى، على سبيل المثال، استنادًا إلى علاقات الولاءات، والمجموعات القبلية، أو الطبقة الاجتماعية الاقتصادية.

الجدول (2). دوافع النزاع الطائفي لتقليل خطر النزاع الطائفي	العامل	زيادة خطر النزاع الطائفي
هويات غير طائفية (على سبيل المثال، الولاءات القومية، والمحليّة، والطبقية) هي المهيمنة	الهوية الذاتية	الهويات الطائفية هي المسيطرة
الزعماء الدينيون يتسامحون مع الطوائف، والأديان الأخرى.	صفة الخطاب الديني	الزعماء الدينيون يروجون لعلاقة عدائية بين الطوائف
تعمل الجهات الفاعلة غير الحكومية بناءً للجسر	الفاعلون غير الحكوميون	الجهات الفاعلة غير الحكومية تحشد حول الطائفة
تعمل الدول الإقليمية على الحد من الطائفية	الدول الإقليمية	الدول الإقليمية تدفع بأجندة طائفية
تقدم الدول الحكم الرشيد من دون التمييز بين الطوائف الدينية	نوعية/ جودة الحوكمة	تفشل الدول في توفير الخدمات الأساسية، أو تميّز في إيصالها للخدمات اعتمادًا على الانتماء الطائفي
النمو الاقتصادي يخفف من الضغط، والفوائد مشتركة	أوضاع اقتصادية	يغذي الضغط الاقتصادي الانقسام، وتشعر الجماعات الدينية

أنها محرومة اقتصاديًا		
ينتشر الصراع في أحد الأوساط، ويغذي الصراع في أوساط أخرى	اتجاهات النزاع	يقلل حل النزاعات من العنف في المنطقة
يسعى الفاعلون الخارجيون للتأثير من خلال اللعب على سياسات الهوية	الفاعلون الخارجيون	يعطي الفاعلون الخارجيون الأولوية للاستقرار

الدافع الثاني صفة الخطاب الديني في المجتمع

وفي إحدى طرفي السلسلة، نجد العلماء *ulama* (الزعماء الدينيين) يتقبلون التسامح، ويصبح لمفومات التنوع الديني في المجتمع قيمةً ومنزلة. ويمكن أن يتوسط الزعماء الدينيون نشاطاً بين الطوائف، أو الأديان المختلفة.

وفي الطرف الآخر من السلسلة، يركّز الزعماء الدينيون على ما يميّز المؤمنين من غير المؤمنين، إذ يغذون ثقافة التعصب، وفي هذه الحال، يحشدون أتباع الهويات الطائفية.

الدافع الثالث الجهات الفاعلة غير الحكومية

(مثل منظمات المجتمع المدني، والمليشيات) أو العلماء *ulama* الذين سبق ذكرهم، يمكن أن تدفع هذه المنظمات الصراع الطائفي أو تكتمه اعتماداً على سلوكها.

في ظل الأوضاع الملائمة، يمكن أن تعمل منظمات المجتمع المدني، بناءً جسور بين الطوائف.

على سبيل المثال، قد تنظّم مجموعات المجتمع المدني بتظاهرات ضد الانقسامات التي يزرعها الفاعلون الطائفيون، كتفجير مسجد شيعي في بلد أغليته سنية.

وعلى عكس ذلك، يمكن للجهات الفاعلة غير الحكومية أن تعمل مفسدة ومعطلة للمبادرات المجتمعية والحكومية للحد من الطائفية.

على سبيل المثال، المليشيات الشيعية - مثل قوات الحشد الشعبي العراقي - تنفذ عمليات القتل الانتقامية ضد المجتمعات السنية، مما يكرس دورات العنف الطائفي.

الدوافع المتعلقة بسلوك الدول والبيئة الإقليمية

هناك مجموعة أخرى من الدوافع، متعلقة بسلوك الدول، والبيئة الإقليمية التي تعمل فيها. حددنا أربعة دوافع في هذه الفئة التي نعدّها الأكثر أهميةً.

الدافع الأول توجه السياسة الخارجية للقوى الإقليمية

هو الدافع الأول، والأهم

المملكة العربية السعودية، وإيران، هما الدولتان الأكثر بروزًا على طول خط الصدع السني الشيعي، يمكن أن تكونا (محفزاتٍ /دوافع) للصراع الطائفي عندما تسعيان للنفوذ بحشد أنصارهما في الدين في الدول المجاورة. على عكس ذلك، هذه القوى الإقليمية يمكن أن تكون قوى للاستقرار عندما تحترم مبدأ عدم التدخل في شؤون الجيران، أو عندما تتعاون في ما بينها.

الدافع الثاني نوعية الحكم

في إحدى حلقات نهاية السلسلة، نجد الدول التي تقدّم الخدمات على نحوٍ فاعل لمواطنيها، من دون تمييزٍ على أساس الطائفة، أو غيرها من دلالات الهوية. وفي الطرف الآخر من السلسلة، الدول غير القادرة على توفير الأمن، والعدالة، والخدمات الأساسية لمواطنيها _جميعهم أو بعضهم_ أو غير الراغبة في ذلك. ومن شأن سوء الحكم أن يحفز المجتمعات على التراجع إلى الولاءات الأخرى _بما في ذلك الطائفة والقبيلة_ للتعويض عن هذا الشرط، في حين إنَّ الحكم الرشيد يربط الحكام والمحكومين بعقدٍ اجتماعي.

الدافع الثالث العلاقة بين الرفاهية الاقتصادية والانتماء الطائفي

عندما توجد طائفة أقلية، مثل الشيعة، في المملكة العربية السعودية، هذه الطائفة التي تعدّ محرومة، ومتباينة اقتصاديًا، فإن التنافس على الموارد الطبيعية يعزز الانقسامات الطائفية. ويمكن أيضًا لارتفاع معدّل بطالة الشباب أن يجعل هذه المجموعة أكثر عرضةً للتجنيد الطائفي.

وفي الطرف الآخر من السلسلة، فإنَّ النمو الاقتصادي، وتحسين الأوضاع الاقتصادية يقللان من الضغوط المجتمعية، التي قد تعزّز العنف الطائفي.

الدافع الرابع اتجاهات الصراع

وهي نطاقُ الصراع الإقليمي، وشدّته، وخصائصه. وعلى صعيدٍ أول، الصراع الإقليمي، والعنف، يصلبان الهويات الطائفية، ويولدان مزيدًا من العنف. وبهذا المعنى، تعمل اتجاهات النزاع بوصفها ظاهرة لتعزيز الذات. ومن ناحيةٍ أخرى، حل النزاعات في بلدٍ ما قد يخلق سابقةً وزخمًا إيجابيًا لحل النزاعات في أماكن أخرى.

استراتيجيات الجهات الخارجية الفاعلة

ويتعلق الدافع الأخير بالجهات الخارجية الفاعلة غالبًا، لكن ليس حصريًا، الولايات المتحدة وروسيا، اللتين تمتلكان نفوذًا، وتتدخلان في الشؤون الإقليمية.

في حلقة من حلقات نهاية السلسلة، نجد الجهات الخارجية الفاعلة مفصولةً أو منعزلة عن بعضها، أو تعمل بنشاطٍ على الحد من الصراع الطائفي.

وفي الطرف الآخر، هم متورطون سواء أكانوا يتعاطون عن وعيٍ، أم يساهمون من دون قصدٍ في تأجيج الصراع الطائفي.

مثال على عمل هذا الدافع في اتجاه تقليل خطر الصراع الطائفي، حثّ الولايات المتحدة للحكومة العراقية التي يقودها الشيعة على الاستمرار في المصالحة السياسية مع الطائفة السنية.

ومثال عكس ذلك، عندما تحدّد روسيا طريقةً وحيدة لحماية مصالحها في سورية، وتعمل في إطار ضيق من خلال "المجتمع العلوي" بوصفه حاملاً لنفوذها.

يمكن للدوافع العمل بطرائق مختلفة في بعض الأحيان، فقد تعمل الدوافع عملاً مستقلاً عن بعضها، أو قد يكون أحد الدوافع قويًا بما يكفي للتغلب على آثار الدوافع الأخرى، فمثلاً قد تكون عدوى العنف قويةً جدًا حتى عندما تترافق مع دوافع تُقلّل خطر الصراع الطائفي، حيث ما يزال بلدٌ يستسلم لتأثيرٍ جانبي من دولةٍ مجاورة.

وفي أوقاتٍ أخرى، قد تتفاعل الدوافع مع بعضها بطرائق تعزّز بعضها. وعلى سبيل المثال، تحسين الإدارة، والأداء الاقتصادي القوي يمكن أن يعززا إحساسًا أكبر بالوطنية بين سكان الدولة، ويعززا الهوية الوطنية، على حساب الهوية الطائفية.

وأخيرًا، يمكن للدوافع إلغاء بعضها، أو خلق تشويشٍ عندما يُوجّه دافعٌ أو أكثر تجاه الصراع الأقل طائفية، في حين إنّ البعض الآخر يوجه تجاه مزيد من الصراع الطائفي.

على سبيل المثال، القوتان الخارجيتان البارزتان، الولايات المتحدة، وروسيا، يمكن أن تعطيا الأولوية للاستقرار الإقليمي، وفي الوقت نفسه، تسعى اثنتين من القوى الإقليمية، الأكثر بروزًا، إيران والسعودية، لتحقيق أقصى قدرٍ ممكن من النفوذ لهما من خلال نشاط مزعزع للاستقرار.

سيناريوهات

في ما يأتي أربعة تصوراتٍ للمستقبل البديل للعلاقات الطائفية في الشرق الأوسط في مدى السنوات العشر المقبلة. تعكس السيناريوهات كلها، الافتراضات والدوافع التي نوقشت في الأقسام السابقة. صُممت السيناريوهات لتكون متميزة تحليليًا، بحيث يمكن للقارئ أن يكون قادرًا على التفريق بين المسارات الأساسية المقدمة.

مناقشتنا المنظمة مع خبراء في الموضوع بما في ذلك المشاركة مع محللين من مجمع الاستخبارات_ أدت دورًا رئيسًا في صوغ هذه السيناريوهات.

كان عدد من هذه السيناريوهات ناتج ورشاتٍ أُقيمت في كانون الأول/ ديسمبر 2016. وأخيرًا، فإن السيناريوهات الأربعة المقدمة هي توضيحٌ لمساراتٍ مختلفة، لكنها ليست شاملة، إذ إن السيناريوهات الأخرى، سوى هذه السيناريوهات الأربعة، هي محتملة، لذلك اخترنا هذه السيناريوهات، لأنها تمثل مزيجًا متنوعًا من الدوافع، وتقدم بعض السيناريوهات الأصلية.

السيناريو الأول: صعود النزعة المحلية

أهم الدوافع: الهوية الذاتية، الجهات الفاعلة غير الحكومية/ الدولة، جودة الحوكمة

في هذا السيناريو، نبحث عصر الإسلاميه بوصفه واحدًا من الهويات المهيمنة ضمن تراجع الشرق الأوسط. تعاني الحكومات الإسلامية في أنحاء المنطقة جميعها من ضعفٍ في الأداء، وتظهر زيادةً في النزعات الاستبدادية. في إثر ذلك، تنشأ ظاهرة نسميها المحلية localism، إذ تتطلب المجتمعات فيها دورًا زائدًا في شؤونها، وفي تقديم الخدمات الرئيسة.

تعدّ النزعة المحلية ردًا على إخفاقات الأحزاب الإسلامية بصفةٍ خاصة. فقد عزّز دستورٌ تركي جديد، صلاحيات الرئيس رجب طيب أردوغان، على الرغم من تراجع شعبيته، وزيادة المعارضة له.

بعد أشهر من الفشل في توفير الطاقة والمياه لأكثر من بضع ساعات يوميًا، تفقد حماس السيطرة على قطاع غزة لمصلحة مجموعة تكنوقراطية، تُعدّ بتقديم خدماتٍ أفضل.

خيبة الأمل العامة من التحولات التي أطلقها الربيع العربي تصل إلى أعلى مستوياتها. الأحزاب الإسلامية تفقد أعضائها، وتأييدها في أنحاء المنطقة جميعها.

هذه المجموعات تفشل مرارًا وتكرارًا في توفير إطارٍ لحكم دولةٍ حكمًا فاعلاً، وينتقدها مزيد ومزيد من الناس لتمكين المتطرفين الإسلاميين.

تبرز "المحلية" دافعاً مهيماً للهوية الذاتية ليملاً الفراغ. إنها عموماً ردة فعلٍ على صعود الأصولية الدينية، ومحو التباين المحلي المشهود في الشرق الأوسط في العقد الماضي. تتأكل سلطة طهران التي تسعى لبناء معسكر شيعي متماسك، مع أقلياتٍ شيعية في الدول الأخرى ترى نفسها متميزة، ومستقلة عن القيادة الإيرانية.

في المناطق ذات الأغلبية السنية، يبدأ التصوف في عودةٍ متواضعة، مما يشير إلى احتضان التباين المحلي في العادات أو الأعراف. إن إعادة التركيز على القضايا المحلية يُقلل من أهمية الطائفية في توجيه الأجناس السياسية، وتعبئة السكان.

تعتمد الأنظمة في بغداد، ودمشق على السيطرة المركزية، ومن ثم تتقاتل مع السكان الذين يسعون لمزيدٍ من الحكم الذاتي المحلي.

وفي المقابل، تفوض طهران، وبيروت المجالس المحلية بمزيد من الحكم الذاتي، وسلطات المحافظات، وتحقق توازناً أفضل بين تلك الضغوط المحلية. وهناك أيضاً أملٌ متجدد في الأفق في حوارٍ مثمر بين إسرائيل والفلسطينيين بمبادرات السلام من الأسفل إلى الأعلى التي تنشأ بين المجتمعات المجاورة من الإسرائيليين، والفلسطينيين الذين يسعون للتوصل إلى اتفاقٍ عملي حول المياه، وغيرها من القضايا البيئية.

وفي عدد من الحالات الملحوظة، هناك تراجعٌ في نسبة الإقبال على الانتخابات المحلية يتجاوز التراجع في الانتخابات الوطنية.

وفي تصنيفات الأفضلية، تتمتع الهيئات المحلية بشعبية أكبر من الزعماء الوطنيين.

بيروت مدينتي ("بيروت، مدينتي العربية بالأصل")، أنتجت حركاتٍ في المناطق الحضرية الأخرى في أنحاء العالم العربي كله، مما يمثل تحدياً لتأثير نخب الحرس القديم. مثل أسلافهم، تركّز هذه الحركات على تقديم الخدمات العامة العملية، مما يؤدي إلى تآكل دور الأيديولوجية.

لا تُعلن النزعة المحلية عن نفسها دائماً بطرائقٍ إيجابية. على سبيل المثال في وقت ما، استبدلت بالعقائد "isms" السابقة (أي، القومية، والإسلامية) هوياتٍ حصرية مساوية، مما أدى إلى تركيزٍ متجدد على القبيلة بوصفها بناءً منظماً للمجتمع.

ومع ذلك، فإن المحلية تُضعف بوضوح تأثير الطائفية، وتُلغي إمكانات أصحاب المشروعات الطائفية وعمومية الانتماء الديني على التعبئة بالقوة نفسها.

السيناريو الثاني: معسكر شيوعي موحد في وسط الفوضى السنية

أهم الدوافع: الهوية الذاتية؛ والدول الإقليمية؛ والجهات الخارجية الفاعلة

في هذا السيناريو، تتحرك المعسكرات السنية، والشيوعية في اتجاهات متعاكسة. فمن ناحية، معسكر شيوعي أصغر، وأكثر تماسكاً يحشد الأتباع لمواصلة ما يصوره زعماءه إعادة التوازن التاريخي الذي تأخروا في إنجازه للسلطة الطائفية في الشرق الأوسط.

ومن ناحية أخرى، الاقتتال الداخلي، والمصالح المتباينة ضمن المعسكر السني تحدُّ من فاعليته، مما يسمح للجهات الشيعية الفاعلة بأن تمضي في نفوذها.

على الرغم من التأخيرات الطويلة في تحقيق الفوائد الاقتصادية لخطة العمل الشاملة المشتركة (إشارة للمناقشات والاتفاقات بين الولايات المتحدة، وفرنسا وبريطانيا، وألمانيا، والصين وروسيا، وإيران، وما صار يعرف بمجموعة 5 زائد 1، حول الاتفاق النووي مع إيران، بدأت المناقشات في 14 تموز/ يوليو 2014).

بدأ رئيس إيران الذي أُعيد انتخابه، حسن روحاني في الوفاء بوعوده الاقتصادية، وأمن عددًا من المشروعات الاستثمارية الكبيرة من الشركات الأوروبية.

بدأت زيادة إنتاج النفط، وقطاع التكنولوجيا المتقدم في تنمية خزائن الحكومة، مما أعطي طهران قدرات أكبر لدعم حلفائها، وشركائها في المنطقة.

يتمتع حزب الله من خلال أدائه في الحملات في الخارج، بشعبية واسعة في الداخل، محافظاً على تمثيل قوي في البرلمان اللبناني.

حيدر العبادي، مدعوم بأغلبية قوية بفضل النجاحات في استعادة شمال العراق من الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، ثم إنَّ نجاحاته في مكافحة الفساد السياسي، والمحافظه على اتفاق تقاسم السلطة مع الأكراد، وإعادة بناء المناطق التي مزقتها الحروب تعزز السلطة المركزية في بغداد، على الرغم من أن الحكومة واقعة تحت سيطرة الأحزاب الشيعية.

وعملت عدّة عوامل على تحسين العلاقات بين إيران والعراق.

إن نجاح آية الله العظمى علي السيستاني، من دون أن يأخذ مكانه أي زعيم روجي موقر مكافئ له، قد قلّل تحدي النجف الديني لقم. آية الله العظمى محمود هاشمي شهرودي، الذي اختير مرشداً إيرانياً أعلى بعد وفاة علي خامنئي، لن يغيّر السياسات القومية الإيرانية، ولكن شهرودي استفاد من جنسيته الثنائية الإيرانية العراقية المزدوجة لبناء علاقات مع العراق، إذ إنه يحظى بشعبية واسعة بين الشيعة العراقيين.

تقف الوحدة النسبية، والثروة الجيدة للجهات الشيعية الفاعلة، على النقيض من فوضى المعسكر السني.

ستنهي المملكة العربية السعودية عملياتها العسكرية في اليمن نتيجة اضطراباتٍ في داخل المملكة التي تجبرها على إعادة الانتشار لوقف التهديد في الداخل. القلق من أن ينزلق اليمن في مدار النفوذ الإيراني يضعف تماسك مجلس التعاون الخليجي، مع إشاراتٍ خفية من الإمارات العربية المتحدة، إلى أنّ الرياض هي المسؤولة.

لقد استعاد الرئيس بشار الأسد السيطرة على المدن الكبرى في سورية، ولم يبق سوى مجموعات صغيرة من المقاومة. وفي حين تحتفظ سورية بعلاقاتٍ طيبة مع روسيا وإيران اللتين تعدّان مساعدتان للنظام في إلحاق الهزيمة بكلٍ من داعش، والمتمردين، إن النصر المشترك في سورية لم يؤدِّ إلى تعميق القوة الروسية والإيرانية، وإنما إلى إزالة سورية بوصفها نقطة شائكة مستمرة في علاقة السعودية بروسيا، ومكّنت علاقاتٍ أوثق بين موسكو والرياض.

تستمر العلاقات الأميركية مع الرياض بكونها متهلّلة، ومقبلة على انفجارٍ حول محاولات واشنطن لاستثمار تحالفها والمطالبة بمكافأةٍ على انتشارها المتقدم. وفي الوقت نفسه، فإنّ علاقة الولايات المتحدة بالإمارات العربية المتحدة، وقطر أخذت في النمو، ومدعومة بتعميق العلاقات العسكرية.

التأثير الصافي أو النهائي هو أنّ الجهات الشيعية الفاعلة تسعى للحصول على فرصٍ لتوسيع نفوذها، في حين إنّ الجهات الفاعلة السنية في حالة دفاعٍ عن الذات. فالدينامية هي تعزيز الذات، مع معرفة الجمهور الشيعي بأنّ مكاسبهم تتحقق بفضل وحدتهم، مما يزيد من التزامهم تجاه هذا المبدأ. ومقابلاً لذلك، فإنّ تراجع المعسكر السني يؤدي إلى مزيدٍ من الاتهامات والتزاعات القيادية، ومن ثمّ مزيدٍ من الانشطارات.

السيناريو الثالث: مجازفة سياسية تجلب الانفراج

أهم الدوافع: صفة الخطاب الديني؛ والدول الإقليمية؛ والجهات الخارجية الفاعلة.

يتسم هذا السيناريو بتصاعد النزاع الطائفي الذي يتقدم تمامًا، حتى قبل أن يرتد في نهاية المطاف، إلى صراعٍ إقليمي من شأنه أن يبرئ السعودية، وإيران لمواجهةٍ عسكرية مباشرة.

إنّ الخوف من العواقب المترتبة يطلق مسعى لاحتواء نقاط التوتر قبل أن تتصاعد إلى هذا المستوى.

الاستثمار السعودي، والإيراني في الصراع بالوكالة بعنوان الطائفية قد وصل إلى ذروةٍ جديدة. هذا التنافس الواضح وضوحًا خاصًا في سورية واليمن، حيث يواصل الجانبان تغذية النزاع من خلال شركائهم المختلفين.

لقد تخلت الولايات المتحدة إلى حدٍ كبير عن الجهد الرامي إلى إيجاد حلٍ للصراع، وبدلاً من ذلك، تركت للجهات المتحاربة استنفاد بعضها.

روسيا وبعد أن أمنت لأطولها الوصول إلى البحر الأبيض المتوسط عبر طرطوس، التفتت إلى أوروبا، وتركت الصراعات في المنطقة للمشاركين.

تقامرت طهران والرياض كليهما أكثر من خلال تمويل الأقليات الطائفية في كلِّ بلدٍ_إيران تعيد تأسيس حزب الله السعودي في المقاطعة الشرقية، والمملكة العربية السعودية تمول متمردي البلوش السنة، في المنطقة الجنوبية الشرقية من إيران_ ولا يقتصر عمل هذه المجموعات على المناطق الحدودية؛ وإنما أطلقت المجموعتين كليهما سلسلةً من الهجمات الإرهابية في عواصم ممثلهم بنجاح.

تردُّ السعودية وإيران بمواقف عدوانية في الجو والبحر في الخليج. وسط هذا التوتر المتصاعد، أغرقت مقاتلةً سعوديةً_بطريق الخطأ_ سفينةً تجاريةً إيرانيةً كبيرة، فردت إيران بإسقاط الطائرة، مما أدى إلى التصعيد. وهذه المواجهة القصيرة باستخدام القوة أجبرت الجانبين كليهما على وقفٍ عملياتي. وقد امتد هذا التوقف ليتحول إلى انفراجٍ غير مستقر، إذ تتطلع السعودية وإيران إلى التخلي عن التوترات بدلاً من المخاطرة بنزاعٍ موسعٍ مباشر.

وحيث إنَّ كلَّ جانبٍ يبحث عن وسيلةٍ فرعية لتخفيف التوتر، تشدّد كلٌّ من الرياض وطهران على أولئك الذين يدفعون بالأجندات الطائفية بدافع الخوف، خشية انفجار الحوادث التي لا يمكن للسلطتين الإقليميتين السيطرة عليها.

تبدأ المحكمة الملكية في السعودية بهدوءٍ بعزل *ulama* العلماء، الذين يثيرون الشارع، في حين تنتشر قوات الباسيج Basij الإيرانية للقضاء على التظاهرات ضد رموز المملكة العربية السعودية. لم يتغلغل الانفراج بين الجمهور، ولكن الدولتين كليهما تتخذان تدابير لتنفيذه.

هذا السيناريو يشير إلى احتمال أنَّ زيادة النزاع الطائفي الذي ترعاه الدولة، يمكن أن يقود الفاعلين الإقليميين فعلاً إلى التراجع عن الحافة، بعد أن واجهت آفاقاً وملامح من عدم الاستقرار المتزايد. إنها واحدة من أكثر التحديات لتدخلات السياسة، إذ إنَّ الأمور سوف تزداد سوءاً قبل أن تتحسن.

السيناريو الرابع: النزاع العرقي وإزاحة دافع الانعزال الذاتي

أهم الدوافع: الهوية الذاتية؛ والفاعلون غير الحكوميين؛ واتجاهات الصراع

في هذا السيناريو، يخمد العنف النشط تحت راية الطائفية، لسبب وحيد هو أنَّ الصراع العرقي، والتشرد أو النزوح، قد أدبًا إلى الفصل الفعلي بين المجتمعات المحلية. مثل السيناريو الثالث، فالتأثير الأفضل في الطائفية هو تقليل التوترات، ولكن عملية الوصول إلى ذلك تضع المجتمعات في خطرٍ فيزيائي، وتستند إلى الانفصال، وليس القبول.

على الرغم من أنّ حملةً دولية دفعت داعش في نهاية المطاف إلى أن تختفي، لكن الجماعة شنّت حملةً دموية، الأرض المحروقة وهي في طريقها إلى الهزيمة، مع آثارٍ تكشف عن فاعلية الجماعة في عمليات التطهير الموجهة ضد الأقليات الشيعية. هذه الانقسامات هي الأكثر وضوحًا في العراق، حيث عمليات القتل العرقية، والتشريد أو النزوح الداخلي قد قضت تقريبًا على المجتمعات المتعددة السابقة. الموصل، على سبيل المثال، أصبحت تقريبًا مدينةً سنّية تمامًا، إذ رُدّت جماعات الميليشيات الشيعية بأعمال انتقامية ضد السكان السنة، وأخرجتهم من وسط العراق في ما وصفته الأمم المتحدة بأنه "تطهير عرقي".

إنّ الوعدَ بحكومةٍ ائتلافيةٍ قد نفي تقريبًا، مع انسحاب الأكراد إلى منطقة كردستان شبه المستقلة، التي تضم الآن كركوك، وغادر زعماء السنة بحكم الأمر الواقع إلى الغرب الذي يسيطرون عليه.

على الرغم من أنّ التحالف الذي تقوده السعودية طرد في نهاية المطاف الحوثيين من صنعاء، لكن الحكومة المركزية الضعيفة، والتي أنشئت حديثًا لم تغلب على السيطرة الحوثية في الشمال، إذ تواصل القوات الحوثية السيطرة على مدينة الحديدة الساحلية.

يجد الجانبان كلاهما أنّه من المفيد المحافظة على حكاية أنّ الحرب انتهت، على الرغم من غياب حل سلامٍ رسمي، وهذا التقسيم بحكم الأمر الواقع لليمن، يبدو من غير المرجح أن يتغير في المستقبل القريب. في سورية، أدت عملية السلام إلى (مناطق سيطرة) معترفٍ بها، ومقسمةً بين حزب الاتحاد الديمقراطي (بيدا، PYD)، والنظام، والمعارضة⁽⁷⁾.

بعد أن أعلن تقسيم المناطق، وطدت موجة من النزوح الداخلي السكان الأكراد أكثر في منطقة سيطرة حزب الاتحاد الديمقراطي. الأقليات؛ بما في ذلك العلويين، والمسيحيين، والدروز في منطقة سيطرة النظام. والعرب السنّة في منطقة سيطرة المعارضة. البلدات المختلطة والمناطق المتاخمة هي مواقع لإراقة الدماء العرقية والطائفية خصوصًا.

حتى في الدول الميكروية (الصغيرة جدًا) بحيث يتعذر تقسيمها، فصل السنة والشيعية في الأحياء/الحيارات، كما في المنامة ومدينة الكويت، خصوصًا، إذ إنّها مقسمةً بين أحياء السنة والشيعية تقسيمًا كبيرًا. إن أثر العلاقات الطائفية متشابك. فمن ناحية، تفاعل أقل بين الطوائف يقلل من حوادث الصراع اليومية. ومن ناحيةٍ أخرى، فإنّ الفصل بين المجتمعات المحلية يعمق التحامل، وينذر بصراعٍ يختمر، ويؤسس له ببطءٍ نحو الانفلات.

(7) (دوبينز، غوردون، ومارتيني، 2017).

الخلاصة

المراجعة السابقة للافتراضات، والدوافع، والسيناريوهات يمكن أن تساعد في فهم جوهر تقويمات المحللين، بما في ذلك تقويمات المجمع الاستخباراتي الأميركي - للعلاقات الطائفية في الشرق الأوسط.

الاستنتاجات الرئيسية لهذه الدراسة:

- في مدى عشر سنواتٍ كأفقٍ زمني، هناك احتمالاتٌ مستقبلية متعددة مهمة لمسار الطائفية في هذه المنطقة -وهي ليست محتومةً- فالطائفية قد تزيد أو تنقص خلال العقد المقبل. وذلك لأن شدة الطائفية تعتمد على الدوافع التي يمكن أن توجه في أي من الاتجاهين.
 - بعض هذه الدوافع يمكن أن تتأثر بالولايات المتحدة (والشركاء الدوليين). على سبيل المثال، نوعية الحوكمة، والأوضاع الاقتصادية، ومعالجة الصراعات القائمة لمنع انتشارها، كلها مثالية للتدخلات السياسية.
 - من ناحية أخرى، عوامل مثل صفة الخطاب الديني في الشرق الأوسط، وكيفية تحديد المجتمعات المحلية لنفسها هي أكثر صعوبةً بالنسبة إلى الجهات الدولية الفاعلة -وبخاصة حكومة الولايات المتحدة- لأنها تؤثر فيها.
 - على الرغم من الطبيعة الدينامية للمنطقة، هناك كثير من العوامل الدائمة التي يمكن للولايات المتحدة الاعتماد عليها في تخطيط استراتيجيتها لوقف الصراعات التي تغذيها الطائفية في المنطقة. نتوقع أن أدوار الدول ذات الثقل الإقليمي، مثل المملكة العربية السعودية، وإيران، في التأثير في العلاقات الطائفية، سيدوم في مدى عشر سنواتٍ أفقًا زمنيًا.
 - الطائفية عامل واحد فقط في توجيه الصراع في المنطقة كلها. لقد عزلناها بوصفها موضوع بحثنا، ولكن ذلك لا ينبغي أن يعني أنه الوحيد أو حتى أهم عاملٍ في توليد الصراع الإقليمي.
- وأخيرًا، نود أن نختم من خلال تحديد البعض الموضوعات المحتملة للبحوث المستقبلية التي حددها هذا المشروع بوصفها أساليب لتعزيز فهمنا للطائفية في الشرق الأوسط.
- الأول هو تصميم متغير مركب قادر على قياس شدة الطائفية في المكان مع الزمن. في الوقت الحاضر، افتراض الباحثين "أنا أعرفها عندما أراها" لمقاربة الطائفية، ولكن لا يوجد مقياسٌ نموذجي يمكن أن يتحقق من صحة الافتراض، ويقدم تفصيلًا أكبر حول سمة الطائفة أو أهميتها في مجتمعٍ معين، أو يمكن أن يبرهن على اتجاهٍ أكثر طائفية أو أقل مع مرور الوقت. ولكن تصميم متغير كهذا وتتبعه قابل للتطبيق بطريقة ناجحة.

متغير مركب يجمع بين: (أ) دراسة استقصائية عن المشاعر العامة، و(ب) تتبع الخطاب الطائفي، و(ج) تتبع الإجراءات الطائفية، من شأنه أن يوفر أسسًا شديدة الضرورة لتحديد مقدار الثقل الذي يمكن أن تتحمله الطائفية عند تصميم التدخلات السياسية لزمانٍ ومكانٍ محددين.

ثم إن المؤلفين يشجعون على عملية إعادة إنتاج السيناريوهات باستخدام تقنية تحليلية مختلفة -وهي تقنية التنبؤ العكسي، back casting- (تقنية تبدأ بالنتيجة المتوقعة، ثم تعود إلى الوراء لدراسة الأوضاع والوقائع الحالية، وللتأكد في ما إن كانت تؤكد النتيجة التي وضعت سلفًا أو ترفضها) تعود إلى تحليل احتمالات المستقبل البديلة المقدمة هنا.

اخترنا اعتماد الافتراضات، والدوافع لأننا اعتقدنا أنها طريقة موضوعية للتنبؤ باحتمالات المستقبل الأجل.

إن تقنية التنبؤ العكسي، back casting، التي تأخذ الحالات النهائية في الحسابات، لها مزايا أخرى⁽⁸⁾. وهي بالتحديد، تساعد في تصور التدخلات السياسية التي يجب اتخاذها للوصول إلى نتيجة أفضل، أو تجنب نتيجة أسوأ. وتقنية التنبؤ العكسي، back casting تجعل ربط تلك النتائج بالمؤشرات والتحذيرات سهلًا، لأن المؤشرات والتحذيرات تتبدد تبتدًا طبيعيًا عند كتابة القصة وكيف يحصل المرء على الحالة النهائية.

أما موضوع البحث الآخر الذي أشارت إليه دراستنا -لكنه غير متضمن في العنوان الرئيس- هو مسألة الروابط بين الطائفية وغيرها من عوامل الصراع. في مصطلحات العلوم الاجتماعية، نستخدم الطائفية بعدّها متغيرنا التابع، ونتحقق من المتغيرات المستقلة (أي الدوافع) تغذي أو توقف هذه الظاهرة. ومع ذلك، يمكن للمرء أن يبدأ الصراع بوصفه المتغير التابع، ويتحقق في ما إذا كانت الطائفية، ومجموعة المتغيرات المستقلة الأخرى تتفاعل للتأثير في تلك الظاهرة.

⁽⁸⁾ التنبؤ العكسي هو طريقة من طرائق تحليل "ماذا لو"، وهي مقدمة في مقرر مدرسة شيرمان كينت (حكومة الولايات المتحدة، 2009).

المراجع

- 1- أرمانيو. فيب، الإسلام: السنة والشريعة، (واشنطن العاصمة: وكالة بحوث الكونغرس، 23 شباط/فبراير 2004).
- 2- إيزادي. مايكل، مشروع الخليج 2000، (نيويورك: جامعة كولومبيا، مدرسة الشؤون العامة والدولية، 2013. ابتداء من 13 نيسان/أبريل 2017).
- 3- شامي. جوزيف، الدين والخصوبة: الفوارق العربية المسيحية-الإسلامية، (ملبورن: مطبعة جامعة كامبريدج، 1981).
- 4- دوبنز. جيمسو فيليب جوردون وجيفري مارتيني، خطة سلام لسورية الثالث: مناطق السيطرة المتفق عليها، اللامركزية، والإدارة الدولية، (سانتا مونيكا، كاليفورنيا: مؤسسة راند، اعتباراً من 14 نيسان/أبريل 2017).
- 5- رسم خرائط السكان المسلمين العالمي: تقرير عن حجم وتوزيع السكان المسلمين في العالم، (مركز أبحاث بيو، واشنطن العاصمة، تشرين الأول/أكتوبر 2009).
- 6- كتاب حقائق العالم (حقائق العالم: منشور سنوي تصدره وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، ابتداء من عام 1962، تعرض فيه لواقع دول العالم ومشاكلها واحتمالات تطورها كلها، بعد عام 1971، أصبح المنشور أو الكتاب غير سري ومتاحاً)، (وكالة الاستخبارات المركزية، الكيانات القطرية الفردية، د.ت).
- 7- مستقبل السكان المسلمين العالميين: مشروعات لأعوام 2010-2030، (مركز أبحاث بيو، واشنطن العاصمة، كانون الثاني/يناير 2011).
- 8- مقرر حكومي: تقنيات تحليلية منظمة لتحسين تحليل الاستخبارات، (حكومة الولايات المتحدة، آذار/مارس 2009).
- 9- نظرة عامة على لبنان، (مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية، شباط/فبراير 2016).
- 10- http://gulf2000.columbia.edu/images/maps/Evolving_Shia_Crescent_2015_lg.png
- 11- <https://www.rand.org/pubs/perspectives/PE233.html>
- 12- ابتداء من آذار/مارس 2017:
<https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/>
- 13- مركز المعلومات اللبناني، الواقع الديموغرافي اللبناني، 14 كانون الثاني/يناير 2013. ابتداء من 3 شباط/فبراير 2017:
<http://www.lstatic.org/PDF/demographenglish.pdf>



harmoon.org